(٢٠) بلا نهاية

أعلنت عقارب الساعة تمام الثانية عشر ظهر اليوم التالي ووزير الدفاع يسير ذهاباً وايابا في غرفته داخل الموقع السري وعلى وجهه علامات التوتر والتفكير العميق..

دخول أمريكا في الصراع ومحاولة استيلاءها على موارد الوطن يعني المزيد من المقاومة والكفاح ..والامكانيات المتاحة من اسلحة وذخيرة وعتاد لن تصمد كثيراً و..

ارتفع صوت مدير المخابرات من الجهاز اللاسلكي قائلاً:

- من نسر واحد الى صقر..

إندفع الوزير الى الجهاز وضغط زرا فيه وهو يجيب بصرامة عسكرية :

- من صقر الى نسر واحد .. اسمعك جيداً ..

جاء صوت المدير وهو يقول بلهجة قوية :

- هناك من يطلب مقابلتك والتحدث إليك ..

ظهرت الدهشة الحائرة على ملامح الوزير وهو يسأل :

- من هو؟

نقل الجهاز صوت المدير وهو يقول :

- لن تصدق أبداً ..

وذكر الاسم ..

واتسعت عينا وزير الدفاع في ذهول وهو يردد الاسم ..

فقد كان من يطلب المقابلة آخر شخص يمكن أن يتوقع ظهوره وسط كل هذه الأحداث .. آخر شخص على الإطلاق ..

*****

لم يرفع مدير المخابرات المنظار المقرب من عينيه طوال ربع ساعة كاملة من داخل سيارته وهو يراقب من بعيد تلك السيارة البيضاء القابعة أسفل إحدى الجبال بمنطقة معزولة تماما عن العاصمة .. حتى سأله وزير الدفاع الجالس بجانبه :

- هل تتوقع حدوث شئ ؟

هز المدير رأسه نافياً وقال:

- لا .. رجالي المنتشرون فى المكان يؤكدون أن الموقع آمن تماماً .. وليس هناك ما يمنع من إجراء المقابلة الأن .. (ثم فتح الباب بجانبه لينزل من السيارة فى الوقت الذى تحرك فيه الوزير ليترك مقعده ويجلس وراء عجلة القيادة بينما قال المدير) في جميع الأحوال كن حذراً ..

أومأ الوزير برأسه وتحرك بالسيارة متجهاً فى هدوء إلى السيارة الاخرى التى كان يراقبها المدير..

دقائق معدودة وأوقفها بجوار السيارة البيضاء التى انفتح بابها ليهبط منها السيدة ..

السيدة الأولى ..

زوجة الرئيس الراحل ..

كانت ترتدي ملابس سوداء وتخفي نصف وجهها بنظارة شمس سواء كبيرة و..

واقترب منها الوزير وتوقف أمامها وتصافحا فى صمت قطعته هي قائلة :

- اعلم ان لقاءنا هذا عجيب وغريب..

سألها الوزير مباشرة :

- ماذا تريدين بالضبط..

صمتت لحظات بعدها قالت بصوت منفعل قليلاً :

- اريد مساعدتك..

ردد الوزير فى دهشة :

- مساعدتي ..

أومأت برأسها قائلة بملامح جامدة:

- نعم ..

ضاقت عينا الوزير وهو يتساءل :

- ماذا تقصدين؟

أجابت بصوت باكى منكسر بدا عجيبا وهو يخرج من شخصية كانت حتى وقت قريب يملؤها الغرور والتعالى والجبروت :

- رغم وفاة زوجي إلا أن ابني رفض عودتي من الخارج نظراً لتدهور الأوضاع ولكنني قررت العودة وبدون أن يعلم أحد وبعد وصولي مباشرة صباح اليوم عن طريق خطة دخول سرية ومعقدة وبمساعدة احد الأصدقاء بالخارج ..وجدته يتصل بي ..صوته كان ملئ بالتوتر والقلق وهو يتكلم بسرعة من هاتف قديم كان يحتفظ به .. وذكر لي انه شبه محتجز داخل القصر الرئاسي بعدما قام زعيم المرتزقة بالاستيلاء عليه .. وذكر ان ما جاء في التقرير الذي ارسلته كان حقيقيا .. وقد اكتشف ذلك بنفسه .. بل استطاع ابلاغ رؤساء دول روسيا وفرنسا والصين وبريطانيا بالخدعة التى نسجتها أمريكا حوله و..

اتسعت عينا الوزير وهو يقاطعها فى ذهول :

- يا إلهي .. هل أبلغهم بالفعل؟ ..

أومأت برأسها بينما خطا هو بعض الخطوات مبتعدا عنها قليلاً مغمغماً بصوت منخفض للغاية وكأنه يحادث نفسه :

- إنه سياسي بارع بحق .. قام بإبلاغ باقي القوى العظمى بالخدعة الأمريكية ونقل الصراع كله ليكون بينهم وبين أمريكا التي أصبحت فى موقف دولي محرج و..

قاطعته وهى تسأله :

- هل تقول شئ؟

إلتفت اليها قائلاً فى انفعال :

- أكملي..

تنهدت وهى تتابع :

- لذلك طلب مني ان احاول الوصول اليك لتساعده ..

ظهر الغضب على وجه الوزير وهو يهتف في إستنكار:

- اساعد من .. اساعد خائن .. باع وطنه وشعبه من اجل السلطة..

ظهر الارتباك عليها وهى تقول مدافعة :

- اعترف بانني وزوجي رحمه الله اخطأنا كثيرا في حق الشعب والوطن .. اخطأنا عندما تصورنا انه سينجح في قيادة الوطن ويكمل مسيرة والده .. ولكنه .. ولكنه ..

اختنق صوتها ولم تستطع اكمال عبارتها وهى تحاول مقاومة دموعها..

تنهد الوزير وهو يقول بصوت حازم :

- للأسف .. سيسجل التاريخ انه أضاع وطنا باكمله ..

هتفت هى :

- مازال هناك فرصة ..

قطب حاجبيه قليلاً وهو يسأل فى اقتضاب:

- كيف؟

أجابت فى صوت يحمل بعض الحماس:

- استطيع ان اقدم لك كل الدعم لمساعدتنا .. مليارات الدولارات الموجودة في حساباتنا بالخارج كلها بين يديك..

هز رأسه فى بطء وهو يقول:

- مستعدة ان تدفعي المليارات من اجل انقاذ ابنك .. ولم تتذكري الوطن .. الوطن الذي سلبتوه وتركتوا شعبه يئن من الفقر والجوع والمرض.. بينما أمواله مخزنة ومكدسة فى حسابات البنوك العالمية بأسمائكم..

هتفت بلهجة أقرب إلى التوسل :

- خذ ما تريد وبدون حد أقصى .. تستطيع شراء ما تريده من سلاح وعتاد وتوفير ما يلزم من امكانيات .. وقم بانقاذ الوطن والشعب واترك لي ابني .. سآخذه ونسافر بعيدا ولن ترانا أبدا..

عقد ساعديه امام صدره وهو يقول فى صرامة :

- ابنك من المفترض ان يحاكم محاكمة شعبية بتهمة الخيانة العظمي..

نظرت الى الأرض ثم قالت بصوت يملؤه الأسى والحزن :

- ابني كان يتصور بأن ما يفعله يصب فى صالح الوطن .. كان يتصور أن تحالفه مع أمريكا يعني ضمان استقرار البلاد لفترة طويلة.

تابعت بسرعة :

- وهو الأن مخطئ ومعترف بخطئه ويريدك ان تتدخل لاعادة الامور الي مسارها الصحيح .. وهو يقسم لك بأنه سيختفي من الحياة السياسية الي الأبد..

رمقها بعينيه فى صمت وهو يزفر فى ضيق بينما تابعت هي متوسلة :

- ارجوك .. كل اموالنا تحت تصرفك .. إنني اعلم انك تستطيع استعادة الوطن .... و .. ولكن (صمتت لحظات أضافت بعدها) .. ولكنني ام تريد مساعدتك لإنقاذ ابنها ..

تنهد فى عمق والتفت بعيداً ينظر فى الأفق قائلاً فى حزم :

- بإذن الله تعالى سنستعيد الوطن .. (ثم نظر إليها مستطرد) ولكن بخصوص إبنك فـ ....

رفعت يدها مقاطعة حديثه قائلة :

- لا تتحدث عنه الأن .. فقط أريدك أن تستعيد الوطن .. وتستعيد استقلاله واستقراره وأمنه وأمانه ..

بالفعل ..

هذا هو كل ما يتمناه .. هو وأفراد المقاومة ..

انه حلمه الجديد ..

والتفت بعينيه و على مرمى بصره كانت تظهرالربوة العالية والتى يقبع عليها القصر الرئاسي..

وفى داخله بدأت تتشكل خطة جديدة..

ومرحلة جديدة من الكفاح والمقاومة لإستعادة الوطن..

وهذا يعني أن عليه هو وفريقه مواجهة قوى الشر..

وشياطين الأرض ..

وأن يخرجوا منتصرين من قلب الصراع ..

الذى تسبب فيه سياسات رجل واحد..

هجين ولد من رحم نظام جملوكى..

انتهى الجزء الأول بحمد الله.